بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ٤ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٥ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ٦

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب مدنيّة وآياتها ثلاث وسبعون آية.

[١] بدأت السورة بنداء الحبيب المصطفىٰ ﷺ بالكنية تكريمًا وتشريفًا له ﷺ، وأمره بتقوىٰ الله التي هي وصية الله للأولين والآخرين، وأن يراقبه جل وعلا في السر والعلن، وأن يستمر علىٰ ذلك، وأن يأمر المؤمنين ويحثهم علىٰ تقوىٰ الله والوفاء بالعهود، ثم أمره أن لا يطيع الكافرين المجرمين ولا المنافقين فيما يطلبون منه من عدم ذكر آلهتهم وأصنامهم بسوء، ثم بين سبحانه أنه عالم بأسرار عباده، حكيم في تدبير شؤونهم.

والله سبحانه وتعالىٰ طلب من النبي ﷺ التقوىٰ وعدم طاعة المنافقين والكفار ليشرع هذا لأمته، أما هو ﷺ فإنه معصوم مما هو أقل من ذلك.

[٢] ثم أمر جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ أن يستمسك بما أوحاه الله إليه من القرآن والسنة، وأخبر سبحانه أنه لا تخفىٰ عليه خافية، وسيجازيكم سبحانه يوم القيامة بما تستحقون من الثواب أو العقاب، والأمر له ﷺ، ولكن المقصود أن يبلغ أمته.

[٣] وأمر جل وعلا نبيه ﷺ أيضًا أن يعتمد علىٰ الله، وأن يفوض أمره إليه، ويطلب حاجته منه، وأن يستعين به في إقامة الدين الذي أُمر به، وكفىٰ بالله وكيلًا يحفظه ويعينه وييسر أمره، وقد امتثل ﷺ ما أمر به.

[٤] ثم أخبر جل وعلا أنه لم يجعل لأحد من البشر من قلبين في صدره؛ سواء كان رسولًا، أو إنسانًا لبيبًا أريبًا، وأخبر أنه لم يجعل الزوجة كالأم بالتحريم بأن يقول لها: أنت عليَّ كظهر أمي، فإن زوجتك قد أحلها الله لك، وأما أمك التي ولدتك فقد حرمها الله عليك، وأخبر أنه لم يجعل الأولاد الذين تتبنونهم أولادًا لكم، لأنهم ليسوا من أصلابكم، ولا يمكن أن يكون للولد أبوان اثنان إنما هو أب واحد، وادِّعاؤكم أنهم أبناء لكم هو مجرد كلام بالفم لا حقيقة له، وكان الظهار والتبني من العادات المعمول بها في الجاهلية فجاء الإسلام وأبطلهما في هذه الآية، وحذر المؤمنين منهما، ثم بين سبحانه أن من يُشبِّه زوجته بأمه بالتحريم، ويدعي ابن غيره ابنًا له؛ فإنه يفتري علىٰ الله الكذب، والله يبين الحق ويرشد إلىٰ قول الصدق وإلىٰ الطريق المستقيم.

وقد كان قول الرجل لزوجته: (أنت علي كظهر أمي) يعتبر طلاقًا في الجاهلية، أي: أنت محرمة علي كأمي.

[٥] ثم أمر جل وعلا أن تردوا نسب الأولاد الذين تتبنونهم إلىٰ آبائهم الحقيقيين؛ فذلك أعدل وأهدىٰ وأقوم؛ فإن لم تعرفوا لهم آباءً؛ فإنهم إخوانكم في الإسلام، ومواليكم، وليس عليكم إثم ولا ذنبٌ فيما حصل منكم من خطأٍ لم تتعمدوه، ولكن يقع عليكم الإثم بتعمّدكم الكلام بما لا يجوز، وبما نُهيتُم عنه، وكان الله كثير المغفرة لعباده، كثير الرحمة بهم.

[٦] ثم أخبر جل وعلا أن النبي ﷺ أحقُّ بمن اتبعه من المؤمنين من أنفسهم في أمور الدين والدنيا، فهو ﷺ لم يترك خيرًا إلا دل الأمة عليه، ولا شرًّا إلا حذَّرها منه، وأخبر أن أزواجه رضي الله عنهن أمهاتٌ للمؤمنين؛ فلا يحللن لأحدٍ بعده، وأخبر أن الأقارب بالنسب بعضهم أولىٰ ببعض في المواريث من أولئك الذين يرثون بالإيمان والهجرة، وذلك ثابت في كتاب الله؛ فقد كان ذلك في أول الإسلام ظرفًا طارئًا للضرورة ثم نُسخ التوارث بسبب الإيمان والهجرة في هذه الآية، واستثنىٰ الله الوصيّة للفقراء المهاجرين من غير الأرحام؛ فلا بأس بها بشروطها، وهذه الأحكام المتعلقة بالمواريث سطرها الله وكتبها من قبل في اللوح المحفوظ، ثم بينها في القرآن الكريم، ولابد من إنفاذها.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧
لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
۝٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟
زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ
إِلَّا فِرَارًا ۝١٣ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ
لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۝١٤ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟
ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥

[٧] ثم أخبر جل وعلا أنه أخذ علىٰ الأنبياء العهد والميثاق المؤكَّد علىٰ توحيد الله وإفراده بالعبادة، والنهي عن الإشراك به، ودعوة الناس إلىٰ ذلك، وإبلاغهم البلاغ التام، والجهاد في سبيل ذلك، ثم أكد سبحانه أنه أخذ هذا العهد من النبي ﷺ ومن نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ بن مريم عليهم السلام أجمعين؛ وهؤلاء الخمسة المذكورون هم أولو العزم من الرسل؛ فذكر سبحانه النبيين كلهم ثم نص عليهم للتأكيد.

[٨] وقد أخذ جل وعلا العهد والميثاق علىٰ الرسل وسيسألهم يوم القيامة عن تبليغهم وأدائهم الرسالة وكل ما طلب منهم، وسيسألهم عمَّا أجابتهم به أممهم، وبرحمته بعباده المؤمنين أخبر سبحانه أنه هيأ للكافرين المكذبين بالرسل عذابًا أليمًا شديدًا في جهم، أما المؤمنون فربما رحمهم فغفر لهم، وربما طهرهم ثم أدخلهم الجنة برحمته. قال القرطبي: إذا كان الرسل سيسألون فكيف حال سائر الخلق؟!؛ فنسأل الله أن يشملنا برحمته، وأن لا يكلنا إلىٰ أعمالنا.

[٩] ينادي جل وعلا عبادَه المؤمنين بأحب وصف وُصفوا به، وهو وصف الإيمان، ينادي عليهم ويذكرهم بنعمته ورحمته ونصره، فيقول لهم: اذكروا نعمة الله عليكم يوم تحزبت عليكم الأحزاب، وتجمعت عليكم القبائل يومَ الخندق، فرددناهم صاغرين، وأرسلنا عليهم ريحًا شديدةً اقتلعت خيامهم، وكفأت قدورهم، وأرسلنا ملائكة من السماء - لم تشاهدوها بأعينكم - فثبتكم وأيدتكم، وكان الله بما تعملون بصيرًا، لا يخفىٰ عليه شيء من نياتكم وأقوالكم وأعمالكم.

وهذا كان في غزوة الأحزاب؛ حيث جمعت قريش وحشدت قبائل كثيرة من قريش وغطفان وغيرهم؛ بل اتفقت معهم ومع جميع الأحزاب الذين وافقوا علىٰ الهجوم علىٰ المسلمين والقضاء عليهم، ولن تجد وصفًا أبلغ ولا أوفىٰ من وصف الله لهم في هذه الآية.

[١٠] واذكروا حين جاءكم الأعداء من أعلىٰ الوادي من جهة المشرق، ومن أسفل الوادي من جهة المغرب، وأعانهم في ذلك يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ؛ فطوقوا المدينة من كل الجوانب، ومن شدة الموقف والفزع والرعب ترىٰ العيون شاخصة، والقلوب كأنها خرجت من أماكنها ووصلت الحناجر، وكاد المسلمون أن يظنوا بالله الظنون السيئة بأن الله لن ينصر أولياءه، ولن ينصر دينه ويعلي كلمته، ولكن الله سلم وردهم بغيظهم خائبين؛ فالله جل في علاه لا غالب له.

[١١] وفي ذلك الموقف العصيب، وهذا الامتحان الرهيب؛ ابتلىٰ الله المؤمنين ابتلاءً شديدًا، واختبر إيمانهم وَمَحَّصَهُم، ومن شدة الابتلاء والامتحان كأن الأرض تضطرب من تحتهم، وفي هذه الأحداث ظهر المؤمن الصادق من المنافق الفاجر.

[١٢] واذكر يانبي الله حين قال المنافقون والذين في قلوبهم شك: ما وعدنا الله ورسوله إلا وعدًا باطلًا لا حقيقة له، ولا ينطبق علىٰ ما نحن فيه من الشدة والرعب. فأظهر الله في هذه الأحداث نفاق بعض المنافقين الذين كانوا مجهولين، وأظهر ضعف إيمان بعض المؤمنين الذين كانوا يعبدون الله علىٰ حرف.

[١٣] واذكر يانبي الله أيضًا حين نادت طائفة من المنافقين أهل المدينة فقالت: ياأهل المدينة لا معنىٰ لإقامتكم ووجودكم هنا؛ فإن المعركة خاسرة؛ فارجعوا إلىٰ منازلكم فإنها معرضة للخطر، ثم تأتي جماعة أخرىٰ من المنافقين وتستأذن النبي ﷺ بحجة أن بيوتهم مكشوفة ويسهل اقتحامها، وهؤلاء كشف الله كذبهم، وبين أن بيوتهم محصنة، ولكنهم يريدون الفرار من المعركة خوفًا علىٰ أنفسهم من الموت.

[١٤-١٥] ولو دخل المشركون المدينة واقتحموها ثم سألوا المنافقين الشركَ بالله، والكفرَ بنبيه محمدٍ ﷺ؛ لأجابوا إلىٰ ذلك مبادرين. مع العلم أنهم قد عاهدوا الله من قبلُ أنهم لا يفرون من المعركة، ولا يتخلفون عن الجهاد والقتال، وقد وبَّخهم الله وذكرهم بالعهد الذي عاهدوا عليه الله من قبل، والله سائلُهم عن هذا العهد ومُحَاسِبُهُم عليه.

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُمْ مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

[١٦] وقل يانبي الله لهؤلاء المنافقين: اعلموا أن فراركم من المعركة لن يدفع عنكم الموت أو القتل، ولن يؤخر آجالكم، وإن فررتم فلن تتمتعوا في هذه الدنيا إلا بقدر أعماركم المقدرة لكم، وهي المدة التي بين الأجل الاختراميِّ والطبيعي.

[١٧] وقل يانبي الله لهؤلاء المنافقين: من ذا الذي يمنعكم ويحميكم من الله إن أراد بكم شرًّا أو أراد بكم خيرًا؟! فالله سبحانه هو المعطي وهو المانع، ثم بين سبحانه أن هؤلاء المنافقين لن يجدوا لهم وليًّا يتولاهم، ويدفع عنهم، ولا نصيرًا ينصرهم من عذاب الله.

[١٨] يخبر جل وعلا بأنه لا يخفىٰ عليه حال أولئك المنافقين المثبطين عن الجهاد والقتال في سبيل الله؛ فيقعدون عن الجهاد، ويثبِّطون غيرهم قائلين لهم: تعالوا وارجعوا إلينا، وهؤلاء المثبطون لا يشهدون القتال والجهاد إلا قليلًا رياءً وسمعةً، أو خوف الفضيحة أو طلبًا للغنيمة.

[١٩] ومن صفات هؤلاء المنافقين القاعدين المثبطين: أنهم بخلاء عليكم أيها المؤمنون، يبخلون عليكم بأموالهم، وقلوبهم ليست معكم؛ فإذا جاء وقت القتال؛ خافوا وجبنوا، وانخلعت قلوبهم من الرعب، وأخذوا ينظرون إليك يمينًا وشمالًا، تدور أعينهم كالذي جاءه الموت، فإذا ذهب الخوف وحضروا تقسيم الغنائم واطمأنوا خاطبوكم وتكلموا معكم بغلظة شديدة، وآذوْكم بألسنتهم السليطة، وألفاظهم القبيحة، وهم بخلاء علىٰ مشاريع الخير، والنفقة في سبيل الله، فاعلموا أن أولئك القوم لم يؤمنوا في الحقيقة، لذلك أحبط الله أعمالهم، وأبطل جهادهم، وكان ذلك علىٰ الله سهْلًا يسيرًا.

[٢٠] وهؤلاء المنافقون - لخوفهم وهلعهم - يحسبون أن الأحزاب لم يذهبوا عن المدينة ولم ينهزموا بعْد، وإن يأتِ الأحزاب مرَّةً أخرىٰ لحصار المدينة؛ ودَّ هؤلاء المنافقون أنهم لم يكونوا في المدينة؛ بل ودوا لو كانوا بين الأعراب في البادية يسألون عن أخباركم من بعيد، ولو كان هؤلاء المنافقون بينكم وقت المعركة ما قاتلوا إلا قتالًا قليلا؛ لجبنهم وخوفهم وضعف يقينهم.

[٢١] لقد كان لكم أيها المؤمنون في أقوال وأفعال وأحوال رسول الله ﷺ قدوة حسنة تتأسون بها، حيث بذل نفسه لنصرة دين الله؛ فالزموا سنته، واثبتوا علىٰ مبدئه ﷺ في الشدائد، واصبروا كما صبر عليه الصلاة والسلام في دعوته وجهاده وكل أحواله، واعملوا أن هذه القدوة يسلكها ويتأسىٰ بها الذين يرجون ثواب الله ورحمته في الآخرة، والذين يكثرون من ذكر الله في السراء والضراء.

[٢٢] وعندما رأىٰ المؤمنون الأحزاب الذين قدموا المدينة، قالوا بإيمان وإخلاص: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وذلك في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢]، وقد ظهر صدق ذلك الوعد، وبدت بوادره، وما زادهم ذلك الأمر إلا إيمانًا علىٰ إيمانهم، وتسليمًا لأمر ربهم. وفي هذا ثناء من الله تعالىٰ لأولئك المؤمنين الذين ثبتوا في غزوة الأحزاب.

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن
قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ
ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ
يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ
ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ
فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ
ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ
لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

[٢٣] ثم أثنىٰ جل وعلا علىٰ المؤمنين الصادقين المخلصين فقال: من المؤمنين رجال صادقون أوفياء بما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله ﷺ؛ فمن هؤلاء الصادقين رجال استشهدوا في سبيل الله، ومنهم من ينتظر الشهادة في سبيل الله تعالىٰ ويلتمسها في مظانها، ولم يبدلوا عهدهم الذي عاهدوا الله عليه، كما فعل المنافقون الذين غيروا وبدلوا.

[٢٤] واعلموا أن ما وقع لكم في غزوة الأحزاب ليجزي الله ويكافئ الصادقين في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم بسبب صدقهم، ويعذِّب الله المنافقين إن شاء بسبب نكوصهم ونكث عهودهم واستمرارهم علىٰ النفاق، وإن شاء تاب عليهم وعفا عنهم بسبب توبتهم وإقلاعهم عن النفاق، وكان الله كثير المغفرة للمسرفين علىٰ أنفسهم بالذنوب إن تابوا، كثير الرحمة بعباده فيوفقهم للتوبة ويقبلها منهم.

[٢٥] ثم بين جل وعلا المصير السيئ الذي انتهت إليه أحزاب الكفر؛ حيث ردهم الله خائبين خاسرين مغتاظين، لم ينالوا خيرًا؛ بل نالوا خذلانًا وإرهاقًا، وكفىٰ الله المؤمنين القتال بما أيدهم به من الأسباب، كالبرد الشديد، والريح التي قلعت خيامهم ونثرت أمتعتهم، وكان الله قويًّا في ملكه، عزيزًا في انتقامه.

[٢٦] وبعد رجوع الرسول ﷺ إلىٰ المدينة منتصرًا من معركة الأحزاب جاء جبريل عليه السلام إلىٰ الرسول ﷺ يأمره بأن يذهب إلىٰ بني قريظة ليقاتلهم، حيث إنهم تمالؤوا مع المشركين، ونقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ؛ فحاصر ﷺ حصونهم وقلاعهم التي ظنوا أنها حافظه لهم، وألقىٰ جل وعلا في قلوبهم الرعب والفزع والخوف الشديد، حتىٰ نزلوا من الحصون والقلاع مستسلمين، وحكم فيهم حليفهم سعد بن معاذ رضي الله عنه بأن يقتل رجالهم، وتسترق نساؤهم وأطفالهم، وتغنم أموالهم، فكان حكمه موافقًا لحكم الله تعالىٰ من فوق سبع سماوات.

[٢٧] وبعد أن انتهىٰ ﷺ من يهود بني قريظة ونفذ حكم الله فيهم، أكرم جل وعلا الرسول ﷺ وأصحابه الكرام بأن ورَّثهم بساتين وحدائق بني قريظة، كما ورَّثهم أيضًا أرضًا لم يستطيعوا وطأها من قبلُ لعزّتها ومنعتها، وهي أرض خيبر، كما ذكر ذلك بعض المفسرين وبعضهم قال غير ذلك، وكما أورثكم جل وعلا ديار بين قريظة فإنه قادر علىٰ أن يورثكم غيرها من بلاد الكفر.

[٢٨] وقل يانبي الله لأزواجك اللاتي طَلَبْنَ منك التوسعة عليهنَّ في النفقة والزينة والرقيق والخدم بعد أن رأين الغنائم وما أفاء الله علىٰ رسوله ﷺ والمؤمنين من الخيرات، قل لهنَّ: إن كُنْتنَّ تُرِدْنَ سعة الحياة الدنيا ولا تَسْتَطِعْنَ الصبر علىٰ المعيشة معي؛ فتعالينَ أعطيكنَّ ما تُرِدْنَ من الزِّينة والمتعة، ثم أطلقكن من دون ضرر أو إيذاء.

[٢٩] ثم قل لهن: وإن كُنْتِنَّ تُرِدْنَ رضىٰ الله وطاعة نبيه ﷺ، وما أعد سبحانه لكنَّ في الدار الآخرة من النعيم المقيم؛ فأطعنَ الله ورسوله، واصبرْنَ علىٰ شظف الحياة؛ فإنه جل في علاه أعد للمحسنات منكنَّ ثوابًا عظيمًا لا يعلم مقداره إلا هو سبحانه.

وقد اخْتَرْنَ رضي الله عنهنَّ الله ورسوله، وما أعدَّ الله لهن في الدار الآخرة؛ علىٰ الزِّينة ومباهج الحياة الدنيا.

[٣٠] ينادي جل وعلا نساء النبي ﷺ علىٰ سبيل الوعظ والإرشاد والتأديب، بعد أن اخترن الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة، فقال سبحانه: يانساء النبي من يأتِ منكن بخصلة قبيحة، ومعصيةٍ ظاهرةٍ يُضاعَف لها العذاب مرتين، وكان ذلك علىٰ الله أمرًا سهلًا يسيرًا.

وهذا تحذير لجميع نساء المؤمنين.

* وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ۚ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ
وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ
وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

[٣١] ثم يخبر سبحانه أن من تُخْلِصُ العمل منكن لله ورسوله وتلتزم بذلك، وتعمل الأعمال الصالحة؛ فإن الله يضاعف لها أجرها مرَّتين، وهيَّأَ لها رزقًا كريمًا في جنَّات النَّعيم.

[٣٢] ينادي جل وعلا نساء النبي ﷺ ويخبرهن بأنهن لسن في الفضل والمنزلة كغيرهن من النساء، وأنهن في مقام القدوة والتربية لجميع النساء، وهذه المنزلة العظيمة باقية لهن إن عملن بطاعة الله وابتعدن عن معاصيه، ثم حثهن جل وعلا علىٰ التعفف وعدم اللين في القول مع الأجانب حتىٰ لا يطمع فيهن من في قلبه مرض الشهوة الحرام، وأمرهن أن يقُلن قولًا حسنًا محمودًا بعيدًا عن الريبة، وهذا الأدب واجب علىٰ كل امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.

[٣٣] ثم أوصاهن جل وعلا فقال: والزمن بيوتكن واسكنَّ فيها واقررن فيها، ولا تخرجن إلا لحاجة وضرورة، ولا تكثرن الخروج من بيوتكن متجملاتٍ متزيناتٍ كما كان يفعل أهل الجاهلية الأولىٰ قبل الإسلام، وأقمن الصلاة وحافظن علىٰ أدائها بشروطها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، وأدِّين الزكاة التي فرضها الله عليكن، وداومنَ علىٰ طاعة الله ورسوله في امتثال الأوامر واجتناب النواهي، إنما يريد الله بأمركم بهذه الأوامر، ونهيكم عن هذه النواهي؛ ليبعد عنكم الأذىٰ والخبث والدنس ياآل بيت النبي ﷺ، ويريد الله أن يطهركم تطهيرًا كاملًا تامًّا، حتىٰ تكونن طاهرات متطهرات، وقدوة لنساء المؤمنين.

[٣٤] ثم واصل جل وعلا وعظه ونصحه لنساء النبي ﷺ فقال: واذكرن علىٰ الدوام ما يُتلىٰ ويُقرأ عليكنَّ من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهَّرة، وداومن علىٰ العمل بما فيهنَّ، إن الله كان لطيفًا بكم ياأهل البيت، خبيرًا بما يصلح أحوالكم الدينية والدنيوية؛ لأن مداومة ذكر الله وتلاوة كتابه تقطع الوساوس.

[٣٥] واعلموا أيها الناس أن المستسلمين والمستسلمات لأوامر الله والمنقادين لذلك، والمؤمنين والمؤمنات بالله واليوم الآخر والأمور الغيبية، والمطيعين والمطيعات لله ورسوله، وأقاموا علىٰ ذلك، والصادقين والصادقات في نياتهم وأقوالهم وأفعالهم، والصابرين والصابرات علىٰ الطاعات وعن المعاصي، وعلىٰ الأقدار، والمصائب والشدائد، والمتواضعين الخائفين من الله والمتواضعات الخائفات، والمتصدقين والمتصدقات مما رزقهم الله من الأموال في الفرض والنفل، والصائمين والصائمات في الفرض والنفل، والحافظين فروجهم والحافظات عمَّا حرَّم الله، والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات؛ أولئك وعدهم الله بمغفرة ذنوبهم، ومحو سيئاتهم، ووعدهم بأنه سيؤتيهم ويعطيهم أجرًا عظيمًا بدخولهم جنات النعيم، نسأل الله الكريم من فضله.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ
لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا
مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ
مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ
أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا
﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن
رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ
لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

[٣٦] يخبر جل علا أنه لا يحل ولا ينبغي ولا يليق بمسلم أسلم أمره لله بالتوحيد، وانقاد له بالطاعة؛ إذا أمر الله ورسوله ﷺ أمرًا أن يكون له رأيٌ مخالفٌ، أو أن يترك لنفسه الخيار بين الفعل والترك، إذ صفة المؤمن: الانقياد التام، والتسليم الكامل، ومن يخالف الله ورسوله ﷺ في أمر من الأمور فقد ضلَّ ضلالًا بينًا واضحًا، وَبَعُدَ عن طريق الحق والصواب.

[٣٧] واذكر يانبي الله يوم أن قلت للذي أنعم الله عليه بالإيمان، وأنعمت أنت عليه بالعتق، وهو زيد بن حارثة رضي الله عنه؛ حيث كان رقيقًا فأعتقه ﷺ ثم تبناه قبل النهي عن التبني؛ حيث قلت له: أَبْقِ زوجك زينب بنت جحش ولا تطلقها، واتق الله يازيد، واصبر علىٰ ما بدر منها في حقك، تقول له ذلك وأنت تُخفي في نفسك ما أوحاه الله إليك من طلاق زيد لزوجه وزواجك منها، واعلم أن الله سيظهر ما أخفيت، ونحن نعلم أنك فعلت ذلك صيانة لعرضك من ألسنة السفهاء من المنافقين أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه، مع أن الله أحق بالخشية من كل من سواه، وهذه جبلة بشرية فأي شخص لا يحب اللمز والغمز والقيل والقال؛ فلما قضىٰ زيد منها حاجته وطلقها، وانقضت عدتها، جعلناها زوجة لك يامحمد؛ لكي لا يكون علىٰ المؤمنين ضيق أو مشقة أو إثم في الزواج من زوجات أدعيائهم الذين كانوا يتبنونهم بعد طلاقهن إذا قضوا منهن حاجتهم، وانقضت عدتهن، وتكون أنت قدوة لهم في إبطال هذه العادة، وكان ما يريده الله جل في علاه حاصلًا لا محالة ولا رادَّ لحكمه. ولا شك أن من أجلِّ أهداف قصة زيد بن حارثة وزوجه زينب هو إبطال التبني الذي كان شائعًا في الجاهلية.

[٣٨] يخبر جل وعلا بأنه ليس علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم من إثم ولا ذنب ولا حرج فيما أحل الله له من الزوجات، فقد أباح الله ذلك للأنبياء من قبله، وكان أمر الله نافذًا وواقعًا.

[٣٩] واعلم يانبي الله بأن هؤلاء الأنبياء الذين أخبرتك عنهم هم الذين يؤدون رسالات الله، ويصدعون بما أمرهم الله به، ويبلغون دين الله، ويخافون الله وحده لا شريك له، لا يخافون من أحدٍ سواه، فلا يلتفتون إلىٰ أذىٰ الناس ولا سخريتهم ولا تهديدهم، وكفىٰ بالله حسيبًا يجمع الأولين والآخرين، ويحاسبهم علىٰ أعمالهم ويجازيهم عليها.

[٤٠] واعلموا أيها الناس أن محمدًا صلىٰ الله عليه وآله وسلم لم يكن أبًا لأحد من رجال المسلمين، لا زيد بن حارثة ولا غيره، ولكنه رسول الله، وخاتم النبيين، فلا نبي بعده، وكان الله بكل شيء عليمًا، فلا يغيب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

[٤١] يأمر جل وعلا عباده الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله ﷺ أن يكثروا من ذكره جل في علاه ليلًا ونهارًا، سرًّا وعلنًا.

[٤٢] وأمرهم سبحانه أن يكثروا من تسبيحه وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وأن يداوموا علىٰ ذلك أول النهار وآخره.

[٤٣] ثم أخبر جل شأنه أنه هو الذي يرحمكم أيها الناس ويثني عليكم، ويسخر ملائكته للدعاء والاستغفار لكم؛ لكي يخرجكم سبحانه بفضله ومنته من ظلمات الجهل والضلال إلىٰ نور الإسلام، ثم بين سبحانه أنه كان بالمؤمنين رحيمًا في الدنيا والآخرة، ومن رحمته أنه لا يعذبهم ما داموا مطيعين مخلصين له وحده.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ
إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

[٤٤] ثم بين سبحانه وتعالىٰ أن تحية هؤلاء المؤمنين عند دخولهم الجنة: السلام، فيحيِّيهم جل في علاه بالسلام، وتسلم عليهم الملائكة، فَيَسْلَمُونَ من كل آفة وكدر، وهيأ الله لهم نعيمًا مقيمًا في دار السلام، في جنات النعيم نسأل الله الكريم من فضله.

[٤٥] ذكر جل وعلا فضله علىٰ رسوله محمد ﷺ وعلىٰ المؤمنين فقال: ياأيها النبي إنا أرسلناك إلىٰ الناس شاهدًا علىٰ أمتك يوم القيامة أنك بلغتهم الرسالة، وشاهدًا علىٰ الأمم السابقة أن رسلهم بلغوهم الرسالة، ومبشرًا المؤمنين المهتدين بالجنة ورضوان الله، ومنذرًا الكفرة والمكذبين والعصاة بسوء العاقبة؛ بسبب إعراضهم وجحودهم.

[٤٦] ثم بين سبحانه أن من مهمات الرسول ﷺ التي أرسل من أجلها أن الله أرسله داعيًا إلىٰ توحيد الله وطاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وهذه الدعوة بأمر الله وتيسيره، وأن الله جعله سراجًا منيرًا وليس ذلك بطبعه أو بقدرته وتدبيره، وإنما بالحق والنور الذي جاءهم به ﷺ، لإخراجهم من ظلمات الجهل والضلال إلىٰ نور الإيمان، فكما يستضاء بالسراج في ظلمات الليل الحالكة فإنه يستضاء برسالته والنور الذي جاء به.

[٤٧] ثم أمر جل وعلا نبيه ﷺ أن يبشر عبادَ الله المؤمنين الذين آمنوا به، واتبعوه؛ أن لهم من الله فضلًا كبيرًا، وهو رضا الله عنهم، ودخولهم جنات النعيم.

[٤٨] ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن لا يوافق الكافرين والمنافقين علىٰ ما يقترحونه عليه في شأن تبليغ رسالته، وأمره أن يترك أذاهم وأن يصبر عليه، أي: لا يجاريهم في سفههم، وأمره أن يتوكل علىٰ الله، وأن يعتمد عليه، وأن يستعين به في أداء ما كُلِّف به، وكفىٰ بالله وكيلًا تعتمد عليه في أمورك فييسرها لك، ويعينك عليها. وهذه الآية فيها توجيه للرسول ﷺ بالثبات والدوام علىٰ الحق، ولا شك أنه ﷺ معصوم من ضد ذلك، ولكن المقصود هو: التشريع لأمته، وبالأخص العلماء والدعاة.

[٤٩] ياأيها الذين آمنوا بالله وصدَّقوا الرسول ﷺ وعملوا بشرعه، إذا عقدتم علىٰ النساء عقد الزواج، ثم طلقتموهن قبل الدخول والخلوة بهن فليس لكم عليهن من عدة توجبونها عليهن؛ ولذا فمن حقهن أن يتزوجن بغيركم، ولكن عليكم أن تعطوهن من أموالكم متعة يتمتعن بها جبرًا لخواطرهن، وتخفيفًا لشدة وقع الطلاق عليهن، ثم خلُّوا سبيلهن بالطريقة الحسنىٰ التي لا ضرر ولا ظلم فيها. وهذه الآية تدل علىٰ أهمية العدة للمرأة المطلقة التي عليها عدة؛ صيانة لحق الزوج؛ إذ ربما يتبين أنها حامل، أو ربما يراجعها الزوج إذا كانت له رجعة، والعدة: هي المدة من الزمن التي يحرم علىٰ المرأة الزواج بها حتىٰ تنتهي المدة؛ سواءً كانت ثلاثة أشهر، أو الولادة بالنسبة للحامل، أو أربعة أشهر وعشرًا بالنسبة للمتوفىٰ عنها زوجها.

[٥٠] ياأيها النبي إنا قد أبحنا لك أنواعًا من النساء توسعة لك وتيسيرًا عليك لتتفرغ لتبليغ الدعوة، وليكنَّ مرشدات ومعلمات لسائر نساء المؤمنين، فمن ذلك: أبحنا لك الزوجات اللاتي في عصمتك وهن اللاتي تزوجت بهن وأعطيتهن مهورهن، وأبحنا لك ملك اليمين من الإماء مما ردَّه الله عليك وصيَّره إليك من الكفار بالغنيمة، وأبحنا لك الزواج من بنات عمك، وبنات عماتك، وبنات خالك، وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك، وأبحنا لك الزواج من المرأة المؤمنة التي وهبت نفسها لك إن أردت ذلك، وهذا النكاح بالهبة خاصٌّ بك دون المؤمنين، فلا يحل لهم هذا النوع من النكاح، قد علِمنا ما فرضنا علىٰ المسلمين في أزواجهم من أحكام، وما يحل لهم من الزوجات وملك اليمين بشروطٍ معلومةٍ، وما يحرم عليهم، وقد أبحنا وجوزنا لك يانبي الله ما لم نجوِّزْ لغيرك وبيَّنا لك ذلك لئلا يضيق صدرك في نكاح من نكحت من هذه الأصناف، ولكيلا تكون في ضيقٍ ومشقة، ولئلا يكون للزوجات اعتراض ويرضين بقضاء الله وقدره، وكان الله ولم يزل جل في علاه متَّصفًا بكثرة المغفرة وكثرة الرحمة بعباده المؤمنين.

* تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ
وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ
ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ
إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ
إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ
لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ
وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ
مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ
وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ
مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾
إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

[٥١] لقد وسعنا عليك يارسول الله فأبحنا لك أن تؤخر من تشاء من زوجاتك ونسائك فلا تبيت عندها، وتأوي وتضم من تشاء منهن وتبيت عندها، فقد وسَّعنا عليك في القَسْم بين الزوجات، فلم نجعله واجبًا عليك، وإنما هذا تبرع منك، وذلك التخيير في القَسْم إذا علمت أزواجك أنه من عند الله؛ فإنه يكون أدعىٰ أن يرضين بذلك، ولا يحزنّ بإيثارك بعضهن علىٰ بعض؛ بل يرضين بذلك وتطمئن به نفوسهن، والله يعلم ما يعرض لقلوبكم، وما يختلج في صدوركم، وكان الله عليمًا بما تكنّه القلوب، حليمًا لا يعاجل عباده بالعقوبة، ويقبل توبة من تاب إلىٰ الله ورجع إليه.

ومع هذا فقد كان ﷺ يعدل بين زوجاته في المبيت، ويقول: «**اللهم هذا قَسْمي فيما أملكُ فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**»[1]، يقصد: ميل القلب.

[٥٢] ويحل لك يانبي الله أن تبقي علىٰ النساء اللاتي معك، ولا يحل لك أن تطلق إحداهن لتتزوج غيرها بدلًا منها، ولو أعجبك حُسْن غيرهنّ، إلا أن السراري - ملك اليمين - حلالٌ لك، وكان الله علىٰ كل شيء رقيبًا وحفيظًا، لا يخفىٰ عليه شيء من أمور عباده.

وهذه الآية نزلت إكرامًا لنساء النبي ﷺ لأنهن اخترن جميعًا الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة؛ فأكرمهن الله بأن حرَّم علىٰ النبي ﷺ أن يتزوج بغيرهن، أو أن يطلق إحداهن فيتزوج بدلًا منها بأخرىٰ.

[٥٣] ياأيها الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله واتبعوه، التزموا الأدب مع رسول الله ﷺ في دخولكم بيتَه، فلا تدخلوا بيوت النبي ﷺ إلا بعد أن يُؤذَن لكم، فإن أُذن لكم للدخول من أجل أن تأكلوا في بيت رسول الله ﷺ فادخلوا، غير منتظرين نضوج الطعام وإدراكه، ولكن إذا دُعيتم فادخلوا، فإذا قُدِّم لكم الطعام وأكلتم فبادروا بالخروج، ولا تطيلوا الجلوس بعد الطعام لتتسامروا وتستأنسوا بحديث بعضكم لبعض؛ لأن ذلكم الفعل يؤذي النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، فيستحي منكم ومن أن يأمركم بالخروج من البيت، والله جل في علاه لا يستحي من بيان الحق، ولا من أن يأمركم بما فيه الخير لكم، والرفق بنبيكم ﷺ، وإذا سألتم أيها المؤمنون زوجات النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم متاعًا من الماعون وغيره، فليكن السؤال من وراء ستار بينكم وبينهن، فذلك أطهر لقلوب الجميع من الريبة، وأقطع للشر والشك، ولا ينبغي لكم معشر المؤمنين أن تؤذوا رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم بأي نوع من أنواع الأذىٰ، ولا يحل لكم أن تتزوجوا زوجاته بعدَ وفاته أبدًا، إن ذلكم الإيذاء، أو نكاح زوجاته من بعده؛ كان عند الله ذنبًا عظيمًا، وإثمًا كبيرًا.

[٥٤] يحذر جل وعلا عباده أنه مطلع علىٰ كل حال من أحوالهم، فقال: إن تُظهروا أيها الناس شيئًا، أو تُخفوه وتستروه من النيات والأقوال والأعمال؛ فإن الله كان بكل شيء عليمًا، لا يخفىٰ عليه شيء من ذلك، فاتقوه جل وعلا وخافوه في سركم وعلنكم.

وهذه الآية نزلت فيمن أضمر أن يتزوج بعض نساء النبي بعد موته ﷺ، فبين جل وعلا بأنه مطلع علىٰ ما تخفيه قلوبهم فليحذروا من ذلك.

(١) أخرجه أبو داود (٢١٣٤)، والدارمي (٢٢٥٣).

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ
أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُهُنَّ ۚ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا
(٥٥) إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا (٥٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
مُّهِينًا (٥٧) وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ
مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨)
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا
يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩) ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ
وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ
لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَّلْعُونِينَ ۖ
أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)

[٥٥] يخبر جل وعلا أنه لا إثم علىٰ أمهات المؤمنين زوجات النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم أن لا يحتجبن من آبائهنَّ، وأبنائهن، وإخوانهن، وأبناء إخوانهن، وأبناء أخواتهنَّ، وعموم النساء، ومماليكهن من إماءٍ وعبيد، ثم أمرهن بتقوىٰ الله في جميع الأحوال، إن الله كان علىٰ كل شيء شهيدًا، يشاهد جميع نياتكم وأقوالكم وأعمالكم، لا يخفىٰ عليه شيء من ذلك.

[٥٦] أكرم جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ وأخبر بمنزلته عنده، وأنه يثني عليه سبحانه ويمدحه في الملأ الأعلىٰ، وأن الملائكة يثنون عليه ويدعون له ﷺ، ثم أمر المؤمنين الذين صدَقوا الله ورسوله ﷺ وعملوا بشرعه بالصلاة والتسليم عليه، وبهذا يجتمع له ﷺ الثناء والدعاء من أهل السماء وأهل الأرض.

وصفة الصلاة علىٰ النبي ﷺ ثبتت في السنة علىٰ أنواع، منها: (اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما صليت علىٰ آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما باركت علىٰ آل إبراهيم، إنك حميد مجيد).

[٥٧] يخبر جل وعلا أن الذين يُؤذون الله ورسوله ﷺ بأي نوع من أنواع الأذىٰ؛ بالقول، أو الفعل، أو الصد، أو السب والتنقص؛ أولئك أبعدهم الله وطردهم من رحمته، وهيَّأ لهم عذابًا مهينًا ينتظرهم في الآخرة.

[٥٨] ثم أخبر جل وعلا أن الذين يُؤذون المؤمنين والمؤمنات بأي نوع من أنواع الأذىٰ - بغير حقٍّ، وبغير جريرة اكتسبوها -؛ فقد حملوا علىٰ ظهورهم بهتانًا وآثامًا وأوزارًا بينةً ظاهرةً، سوف يلقون الله بها؛ فيجازيهم عليها، ويقتصُّ لمن أوذي بغير حق.

[٥٩] ثم أمر جل وعلا نبيه ﷺ أن يفرض الحجاب علىٰ زوجاته وبناته ونساء المؤمنين، فقال له: يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين: يُرخين أرديتهن وألحفتهنَّ ويغطين بها رؤوسهنَّ ووجوههن وصدورهن، فتلك التغطية أقرب أن يميزهن من يراهن عن الإماء، وأظهر في معرفة أنهن من الحرائر، فلا يتعرَّض لهن من كان في قلبه مرض، ولا يؤذيهن أحدٌ من أصحاب الريَب، وكان الله غفورًا كثير المغفرة لمن استغفر وتاب، رحيمًا كثير الرحمة لمن رجع وأناب.

[٦٠] ثم حذر جل وعلا المنافقين ومرضىٰ الشهوات من التعرض للمؤمنات، فقال: لئن لم ينتهِ ويتوقف المنافقون والذين في قلوبهم مرض الشهوة والشك، والذين يخوفون المؤمنين ويبثون فيهم الإشاعات لتهوينهم وتضعيفهم؛ لئن لم ينتهِ هؤلاء عمَّا هم فيه؛ لنسلطنك عليهم، ولنأمرنك بعقوبتهم وقتالهم، ولن يصمدوا أمامك في المدينة أو يستمروا وقتًا طويلًا.

[٦١] واعلموا أيها الناس أن هؤلاء المنافقين مطرودون من رحمة الله وحفظه، مهانون أذلّاء أينما ذهبوا، وحيثُما حلُّوا، فهم في أي مكانٍ وُجدوا فيه لا يحصل لهم أمن ولا استقرار؛ بل يتخطفهم الناس أسرًا وقتلًا، وذلك لغضب الله ورسوله ﷺ عليهم، وللعن الله إياهم وطردهم من رحمته.

[٦٢] ثم بين سبحانه أن هذه هي سنته وطريقته في كل من نافق فأظهر الإسلام وأبطن الكفر، ووالىٰ أعداء الله وأحب ظهورهم - أنه يكون غير آمنٍ، ومُعَرَّضًا دائمًا للقتل والأسر -، وسنة الله في هؤلاء المنافقين لا تتغير ولا تتبدل، نسأل الله السلامة والعافية.

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ
وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَـٰٓ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ
وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

[٦٣] يخبر جل وعلا أن اليهود وأشباههم في الكفر والنفاق يسألون النبي ﷺ علىٰ سبيل الاستبعاد والتكذيب والاستهزاء عن وقت القيامة، فقل لهم يانبي الله: إن علمها عند الله وحده، وأنه هو الذي يجليها لوقتها، وما يدريك أيها السائل للرسول ﷺ لعل وقتها قد اقترب.

[٦٤-٦٥-٦٦] وأخبر جل وعلا أنه طرد الكافرين المكذبين المعاندين، وأبعدهم من رحمته، ودخول جنته، وهيَّأ لهم - بسبب كفرهم وعنادهم - نارًا تستعر وتتوقد فيهم. وهذه النار يدخلونها ويمكثون فيها أبد الآبدين، لا يتحولون عنها ولا يزولون، وهم فيها لا يجدون من يتولىٰ أمرهم، ويدافع عنهم، ولا يجدون فيها من ينصرهم، وينجيهم منها. وهؤلاء تتقلب وجوههم في النار من جهة إلىٰ جهة فتُشوىٰ من لفح النار لها، ويقولون وهم علىٰ هذه الحال، وقد تملكهم الندم - ولن ينفعهم -: ياليتنا أطعنا الله فوحدناه وآمنا به، وأطعنا الرسول ﷺ فصدقناه واتبعناه.

[٦٧] ثم قالوا - وهم في هذه الحال علىٰ سبيل الاعتذار والندم، ومحاولة النجاة، ولن ينفعهم ذلك -: ياربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا، ومشينا خلفهم وقلدناهم، فضلوا بنا عن طريق الحق والتوحيد، وعن طريق الهدىٰ والإيمان، وسلكوا بنا سبيل الشرك والغواية والضلال.

[٦٨] ولما علم هؤلاء الكفار أنه لا نجاةَ لهم قالوا: ربنا ضاعِف لهؤلاء الذين أضلونا العذابَ مرتين، وشدد عليهم فيه، والعنهم لعنًا كبيرًا عظيم القدر، لأنهم سبب ما نحن فيه.

[٦٩] يحذِّر جل وعلا الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ وعملوا بشرعه؛ أن يؤذوا نبيهم محمدًا ﷺ بقول أو فعل؛ كما آذىٰ اليهود نبيهم موسىٰ عليه السلام؛ حيث آذوه بشتىٰ أنواع الأذىٰ، ومن ذلك أنهم قالوا: إنه آدر، أي: عنده ورم في الخصية، وقيل: عيب في جلده، كبرص ونحوه، وهذا ما يجعله يتشدد في التستر عند الاغتسال لئلا يرىٰ أحد ذلك العيب، فبرأه الله من كل ما نسبوه إليه من سوء، وكانت تبرئته أنه اغتسل في النهر فلما خرج ليلبس ثيابه رأوه فإذا هو سليم مما ظنوا، ثم أخبر سبحانه أن موسىٰ عليه السلام كان عظيم القدر والجاه عند الله تعالىٰ.

[٧٠] ياأيها الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله ﷺ: اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وقولوا قولًا صوابًا وحقًّا وعدلًا في كل أموركم ومعاملاتكم.

[٧١] ثم بين سبحانه أنكم إذا اتقيتم الله أيها الناس، وقلتم القول السديد؛ كان ذلك سببًا في أن يُصلح الله لكم أعمالكم، بأن يرزقكم الإخلاص والمتابعة فيها؛ فيقبلها منكم، ويغفر لكم ما وقع منكم من الذنوب والمعاصي، فيسترها عليكم، ويمحوها لكم، ومن يطع الله ورسوله ﷺ فيفعل ما أُمر به، ويجتنب ما نُهيَ عنه فقد فاز فوزًا عظيمًا في الدنيا والآخرة، نسأل الله الكريم من فضله العظيم.

[٧٢] يعظم جل وعلا شأن الأمانة التي هي حرية الاختيار بين امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وبين أن يكون مؤمنًا أو كافرًا، ثم يكون الثواب والعقاب بحسب اختياره؛ ولعظم هذه الأمانة فإنه جل في علاه عرضها علىٰ مخلوقاته العظيمة؛ السماوات والأرض والجبال؛ عرض تخيير لا إلزام؛ فرفضن أن يتحملن هذه الأمانة، ورغبن أن يكن مسيَّرات لا مخيرات؛ لخوفهن أن لا يقمن بأدائها كما أمر الله تعالىٰ؛ فأما هذا الإنسان الضعيف فقد تحملها؛ لأنه ظلوم لنفسه، جاهل بتبعية اختياره وعواقبه.

[٧٣] ثم ختم جل وعلا السورة ببيان أنه حمَّل الإنسان هذه الأمانة لكي يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات؛ لأنهم خانوا هذه الأمانة ولم يعملوا بها كما أمر الله تعالىٰ، ويتوب سبحانه علىٰ المؤمنين والمؤمنات الذين حفظوا هذه الأمانة كما أراد الله، فأدوا الواجبات وابتعدوا عن المنهيات، وكان سبحانه كثير المغفرة للتائبين من عباده، رحيمًا بهم.